الدكتور
عبد الله عزام

# القاعدة الصلبة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده. أما بعد ..

فكل مبدأ من المبادىء لابد له من طليعة تحمله، وتتحمل وهي تشق طريقها الى المجتمع تكاليف غالية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت او سماوية الا واحتاجت الى هذه الطليعة التي تبذل في سبيل نصرة عقيدتها كل ما تملك ،وتتحمل لأواء الطريق الصعب الطويل حتى تصل الى اقرارها في واقع الحياة اذا كتب الله لها التمكين والظهور. وهذه الطليعة تمثل القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول .

ومالم تجد العقيدة ـ ولو كانت من عند رب العالمين ـ هذه الطليعة المضحية التي تبذل كل ما تملك من أجل اظهار عقيدتها فان العقيدة ستولد ميتة وتوأد قبل أن ترى النور والحياة .

وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطليعة لابد أن يكون :(( قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلاتنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)) الأعراف ١٩٥-١٩٦

ماكنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكية كما أدركها الآن واضحة جلية لا لبس فيها ولا غبش بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني وللعام السابع والحمد لله. ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقدية الطويلة : هي أساس المجتمع الاسلامي وعموده ، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني وان قام فانه سيكون هيكلا هشا سرعان ماينهار لهبة ريح أو مرور عاصفة .

وخرجت بقاعدة أساسية لبناء المجتمع الاسلامي وهي :-

انه لايمكن للمجتمع الاسلامي أن يقوم بدون حركة اسلامية تشب على نار المحنة وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء ، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة ،ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الاسلامية دور القيادة والريادة والامامة والارشاد ، ومن خلال الجهاد الطويل تتميز مقادير الناس وتبرز طاقاتهم وتتحدد مقاماتهم ، وتتقدم قادتهم لتوجه المسيرة وتمسك بالزمام. وهؤلاء بعد طول المعاناة يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم ستارا لقدره و أداة لنصرة دينه .

وان حمل السلاح قبل التربية الطويلة للعصبة المؤمنة يعتبر أمرا خطيرا لأن حملة السلاح سيتحولون الى عصابات تهدد أمن الناس وتقض عليهم مضاجعهم .

الخطوط الرئيسية لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة :

١ - لابد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء .

٢ - أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء. فلابد أن تكون القيادة هي المحضن الدافىء الذي تنمو تحت أجنحته هذه الأفراخ ولابد من طول مدة الحضانة والتربية .

٣ - ولابد لهذه الطليعة أن تترفع عن متاع الدنيا الرخيص ويكون لها طابع متفرد من حيث الزهد والتقشف .

٤ - وكذلك يجب أن تكون ممتلئة باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يملأ جوانحه بانتصارها .

٥ - ولابد من الاصرار والعزيمة على مواصلة السير مهما طال الأمد .

٦ - وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النوافل والصبر والصلاة .

٧ - الولاء والبراء .

٨ ـ لابد أن تدرك المخططات العالمية ضد الأسلام .

وهنالك أسباب رئيسية لهذه التربية الطويلة :

١) لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي الى الملل واليأس الا اذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة .

٢) لأن الاغراءات والمساومات على الطريق مستمرة ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للذوبان .

٣) لأن هذه القيادة اذا مكّن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكنوز وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه .

فما لم تكن أمينة فويل للأمة من قيادتها .

التربية النبوية للجيل الأول :

ولقد كانت العناصر الثمانية الأنفة الذكر بارزة من خلال التربية النبوية للجيل الأول ولذا فعندما ارتدّت الجزيرة بأسرها قامت القاعدة الصلبة وارجعتها الى الاسلام .

(١) أما عنصر المحنة الذي لاينفك عن أية دعوة (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) الأنعام

وقوله عز وجل ولامبدل لكلمات الله : أى انها سنة ماضية من نواميس الله التي لاتتخلف في الحياة .

وقد سئل الشافعي رحمه الله أيهما أفضل: يُمَكَّنُ للرجل أم يُبتلى؟ قال : لن يمكّن له حتى يبتلى.

وحديث خباب بن الأرت في البخاري وغيره (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوسد بردة في ظلال الكعبة فقلت يارسول الله الا تدعو لنا ، الا تستنصر لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال :

(كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم وعصب مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

والمحنة تصقل الأرواح وتصفي النفوس وتطهر القلوب من أدرانها وأوضارها وهذا الذي بينه الحديث الصحيح:

(انما مثل المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها).

والمحنة كلما اشتدت كلما اقترب النصر (واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا).

> القرار الأخير: مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري وآخر عرق ينبض ، أو نرى دولة الاسلام قائمة .

وان طول معاناة الشعب الأفغاني عبر الجهاد الطويل قد صقل عناصره وأنضج جنوده وزاد في صلابة قادته .

وفي الصحيح (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وماعليه خطيئة).

(٢) أما مشاركة القائد للجند في المسيرة ومعاناته كما يعانون فهذا يزيد في محبة القائد في قلوب الجند ولذا ترى الرسول صلى الله عليه وسلم ينتقل مع أصحابه من دار الأرقم الى حصار الشعب ثلاث سنوات بالجوع، الى الطائف ثم الى المدينة المنورة فبدر وأحد والخندق ... الى أن مكّن الله له وللعصبة المؤمنة في الأرض .

ولذا فاننا نجد أن المجاهدين الأفغان يفدون قائدهم الذي يعيش بينهم بالنفس والنفيس .

(٣) أما الزهد في الدنيا: فهو ناشئ عن وضع الدنيا في نصابها الحقيقي: وضآلتها بجانب الآخرة ( ماالدنيا في الآخرة الا كما يمشي أحدكم الى اليم فأدخل اصبعه فيه فما خرج فيه فهو الدنيا) حديث صحيح .

(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء).

وحقارة الدنيا ينشأ عنها الزهد: (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس ) صحيح .

والزهد في الدنيا ينشأ عنه الاستغناء عن الناس والعزة والاستعلاء .

ففي الصحيح (واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس ).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يوصي كثيرا بالاستغناء عن الناس ، ففي الصحيح (استغنوا عن

# القاعدة الصلبة

الناس ولو بشوص السواك) أي لو أكلتم فتات السواك فلا تسألوا الناس .

ولذا فقد أخذ صلى الله عليه وسلم العهد على بعض الصحابة أن لايسألوا الناس شيئا فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على جواده فلا يطلب من الناس أن يناولوه اياه .

والزهد هو القاعدة الاساسية للجهاد. والترف أعظم واهية تحل بالأمم وتفسد أبناءها وتنخر في كيانها.

والتخفف من الدنيا وقلة ذات اليد من الحوافز الاساسية للجهاد ولذا فانا نجد أن أتباع الأنبياء معظمهم من الفقراء.

وما أذل أعناق الرجال مثل الكماليات والتوسع في الدنيا ولذا يبقى المرء خائفا على راتبه ووظيفته ومتاعه . وكلما ازداد راتب الموظف ازداد تكالبه على الوظيفة وخوفه من أهل الدنيا .

ولذا رأينا أن الزهد كان طابعا مقصودا للنبي صلى الله عليه وسلم ولصحبه الكرام رضي الله عنهم رغم أن الدنيا بين ايديهم ( ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين) صحيح.

(٤) زاد الطريق فهو : القرآن ، الذكر ، وقيام الليل ، وصدقة السر،وصوم النافلة ، وصحبة الصالحين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد وهو قمة هذا الزاد وذروته .

ولابد من النوافل حتى تقوى أواصر الصلة بين العبد وربه ، والنوافل هي أساس التوفيق والفتور في العبادة علامة الخذلان. (ولايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه ....)، والنوافل زاد الجهاد وروحه وحياته .

(٥) الولاء والبراء : ومن أهم الأركان الأساسية في حياة الأمم وجود النماذج التي لاتباع ولاتشترى . و قد فخر " غاندي الهندوسي" وهو يقدم " نهرو " للشعب الهندي قائلا ( اقدم لكم رجلا لايشترى).

وكم من رجل باع وطنه ودينه وشعبه من أجل متاع رخيص : كما فعل مصطفى كمال أتاتورك الذي اتفق مع الانجليز وسمح لهم بضرب الجيوش التركية الأربعة في فلسطين . وأسقط الخلافة وحارب الاسلام من أجل كرسي أو رئاسة .

وكم من الكماليين في أمتنا باعوها بلقمة غذاء أو كلمة ثناء أو كاس أو غانية .

وانطماس مفهوم الولاء والبراء في أذهان الكثيرين أودى بهم وبمن معهم في جحيم الهاوية .

ففي أفغانستان مثلا : تجد بعض المسلمين قد التفوا في بداية الجهاد حول الشخصيات البارزة الذين كانوا أيام الملك في مجلس الأمة ممن يسمون( أرباب ووكيل ) وتجد هؤلاء في لحظة من لحظات الضعف يعلنون أن حكومة كابل مسلمة وينضمون بمن معهم للحكومة ويتركون الجهاد .

أهمية القاعدة الصلبة في الجهاد الأفغاني :

وقد أدركنا الآن أهمية هذه القاعدة التي تربت على الاسلام منذ نعومة اظفارها في الدعوة الاسلامية .

تلفتنا حولنا ونحن نرى تنكر العالم كله لهذا الجهاد، والمؤامرات العالمية التي تريد قطف ثماره واطفاء أنواره ، ونرى كذلك التكالب العالمي لتحجيم هذا الجهاد ولتنحية قياداته الحقيقية عن مواصلة الأخذ بزمام هذا الشعب المسلم .

تلفتنا فما وجدنا الا أبناء الدعوة وأبناء القاعدة الصلبة الذين وقفوا في وجه العالم كله قائلين : لا،نحن هنا .

وعندما كشر أعداء الله عن أنيابهم وتراجع الأصدقاء عن مساندتهم أو وقفوا موقف المتفرج هنا نهض قادة الجهاد الأفذاذ سياف وحكمت يار ورباني وخالص وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

انتفض هؤلاء الأربعة : يميطون اللثام عن مؤامرة اللئام وقالوا: ان ربنا أقوى من كل قوى الأرض ( وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا) فاطر.

رأينا في كل تجارب الشعوب الاسلامية : ان ثمرات الجهاد غالبا يقطفها صنائع الغرب وربائب أمريكا والعلمانيون في أفغانستان سابقا وفي الجزائر وتونس ومصر.

والآن تحاول أمريكا أن تختلس ثمرات هذا الجهاد العظيم وتحول دون تحكيم كتاب الله . وواجهت القاعدة الصلبة : ضغوطا دولية واغراءات عالمية ولكنهم أبوا أن يحنوا رءوسهم للعاصفة وقرروا مواصلة المسيرة المضنية على طريق العرق والدموع والدماء.

واجب العالم الاسلامي :

وأما أبناء العالم الاسلامي ففرض عليهم أن يقفوا الوقفة الصلبة بجانب هذه القاعدة الصلبة . بالمال والنفوس (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) الأنفال .

والقرار الأخير : مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري وآخر عرق ينبض أو نرى دولة الاسلام قائمة .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله الا انت استغفرك وأتوب اليك ■